الاميرة ست الشام (?-616هـ/?-1220م)
دراسة في سيرتها وانجازاتها

م. د. هدار سليم صالح
قسم االتاريخ، جامعة دهوك، كلية التربية الأساسية
atrushihadar@yahoo.com

كورتى

(ست الشام) ئیكه ژ بەر چاقترین شاهێن د دەمێ حوكمرانیا ئەیوبیاندا، نە ژ بەر ئەو خوشكا سولتان سەلاحەدین ئەیوبی بوو بەلكو ژ بەر ئەوان رولێن ئەوێ گێراین د دەمێ حوكمرانیا برایێ ئەوێ سولتانی، هەروەسا پالپشتیا ئەوێ د هەردووک لایەنێن ماددی و گیانیدا، ئەوژی ب رێكا پێشكێشكرنا رێنمایی و پەرەپێدانێ، (ست الشام) یا بەر نیاسە ب جوانی و بیرتیژیێ، زێدەباری كو ئەوا ژێ هاتیە زانین لدور رەوشـــت و مەردینیا ئەوێ و ئەوی رەوشـــتێ رێكا گرنگیدان ب زانســـتی و رەوشـــەنبیریا كومەلایەتی، ئەوژی ب رێكا حەژێكر و حەزا ئەوێ بو زانین و زانیارییان تایبەت د بوارێ زانستێ فەقیاتیێ و ئاخفتنێ هەتا كو بویە ئێک ژ گرنگترین زانایێن شـافعی د ئەوی چەرخیدا، دگەل گرنگیدانێ ب هەژار و پێدڤیان، گەلەكا دەسـتڤەكری و خێركەر ببویە، و مالا خو كرییە جهێ ڤەحەواندنا هەر كەسێ رێڤینک و پێدڤی.

رولێ ئەوێ جڤاكی نە بتنێ هاریكاریا كەســـانێن هەژار و پێدڤیبوو، بەلكو زێدەباری هندێ گەلەک كارێن خێرخوازیژی كرینە ئەوێن ئەو كریە شـــاهەكا نێزیكی خەلكێ گشـــتی، هەر دیســـان گرنگی دایە ب ئاڤاكرنا جهێ ســـوفیگەریێ وەک جهێ (الحسـامیه) و مینا ئەوقافەكێ ژ بو پارەدانێ ژ كیسـتێ خۆ دروسـتكر ژ بۆ كارێن زانسـت و تەسـەوفێ، باشـتر ژ گرنگیدان ب ئاڤاكرنا قوتابخان، قوتابخانا شـافیه لتاخێ (العوینه) ل نێزیكی دیمەشـقێ ئەوژی قوتابخانا (الحســامیه الشــافعیه) كو دكەڤێتە ژ دەرڤەی دیوارێن دیمەشقێ، ئەو قوتابخانە ژ گرنگترین و مەزنترین قوتابخان بوو د بوارێ فەقیاتیێ و ئەوقافێ.

و قوتابخانا دووێ ئەوا هاتیە ئاڤاكرن ئەوژی قوتابخانا (الشامیه الجاونیه) دكەڤیتە دەڤەرا (العقیبه) ل دیمەشقێ.

ملخص البحث:

ست الشام هي احدى ابرز الاميرات في العهد الايوبي،تميزت ست الشام بجمالها وذكائها، بالإضافة الى ما عرف عنها من نبل الاخلاق،وقد زينت تلك الاخلاق باهتماماتها العلمية والثقافية والاجتماعية، ذلك من خلال حبها وشـــغفها بالعلم والمعرفة، لاســـيما علم الفقه والحديث حتى غدت واحدة من اهم علماء الشـــافعية في ذلك العصـــر، هذا الى جانب اهتمامها وحبها للفقراء والمحتاجين حيث كانت كثيرة البر والصدقة، وجعلت بيتها ملجأ لكل قاصد ومحتاج.

لم يقتصر دورها الاجتماعي في مد يد العون للفقراء والمحتاجين فقط، فقد اضافت الى ذلك القيام بالأعمال الخيرية التي جعلتها من الاميرات المقربات للعامة، كما اهتمت ببناء الخانقاهات لرعاية المتصـــوفة كخانقاه الحســـامية، وجعلت لها اوقافاً للإنفاق من ريعها على وظائف العلم والتصـوف، فضـلاً عن ذلك اهتمامها ببناء المدارس ،حيث شـيدت مدرسـة للشـافعية بمحلة العوينة قرب دمشـق وهي المدرسـة الحسـامية الشـافعية (البرانيةُ) لوقوعها خارج اسـوار دمشـق، وكانت تلك المدرسـة من اهم واكبر المدارس واكثرها فقهاء واكبرها اوقافا، والمدرسة الثانية التي قامت ببنائها هي المدرسة الشامية الجاونية في منطقة العقيبة بدمشق.

الكلمات الافتتاحية:ست الشام ، الثقافية، الاجتماعية، الفقراء، الخانقاهات، المدارس.

Abstract

Set Sham is one of the most prominent princesses of the Ayyubid period, not only because she is the sister of Sultan Saladin al-Ayyubi, but also for the roles she played during her brother's reign, as well as her support for him on both moral and material levels.

Set Sham was distinguished by her beauty and intelligence, in addition to her known nobility of character, which she adorned with her scientific, cultural, and social interests, through her love and

passion for knowledge and learning, especially jurisprudence and hadith, until she became one of the most important Shafi'i scholars of that era, in addition to her interest and love for the poor and needy, where she was generous with charity, and made her house a refuge for everyone who sought help or needed it.

Her social role was not limited to helping the poor and needy only, as she also engaged in charitable works that made her one of the most beloved princesses among the general public.

She also built khanqahs to care for Sufis, such as the Khanqah al-Husaymiyyah, and she endowed them to be used for the purposes of knowledge and Sufism. In addition, she built schools, where she built a Shafi 'i school in the neighborhood of Al-Awina near Damascus, which is the Shafi 'i Khanqah of Al-Husaymiyyah (Al-Baraniya), because it is located outside the walls of Damascus.

This school was one of the most important and largest schools, with the most jurists and the largest endowments. The second school she built was the Shamiya al-Jawniyyah School.

المقدمة

برزت ست الشام الأيوبية كإحدى اهم الاميرات في العهد الايوبي، ليس لكونها ابنة نجم الدين ايوب بن شادي (568هـ/1178م) واخت السلطان صلاح الدين الايوبي("564 –589هـ / 1173–1193م")، فحسب، بل لحضورها المميز في عهد اخيها السلطان صلاح الدين،بعد ان برزت مكانتها التاريخية والسياسية من خلال دعمها له سواء مادياً أو من خلال المشورة والتوجيه، وذلك بحكم شخصيتها القوية التي جعلتها مقربة للعديد من الزعماء الاسلاميين وحتى الاوربيين ـ الصليبيين ـ حيث بنت علاقات صداقة متينة مع اسرهم، فكان لتلك العلاقات الاسرية دور كبير في احلال السلام والاستقرار في البلاد. كما تميزت ست الشام بإدارتها الحكيمة، وكان لها أيضاً دور بارز في التواصل والتفاوض مع القوى المختلفة، وراعية للفنون والثقافة، من خلال دعمها وتشجعيها للعديد من المشاريع الثقافية والعلمية "كالمدارس

البحث الموسوم "الاميرة ست الشام (؟–616هـ/؟– 1220م) دراسة في سيرتها وانجازاتها " قسم البحث الى مقدمة وخاتمة ومبحثين، تناول الاول سيرة الاميرة ست الشام، اسمها ونشأتها، وعلاقتها بالأسرة الأيوبية الحاكمة، وفي الثاني تطرق البحث الى انجازات الاميرة ست الشام، وذلك من خلال تسليط الضوء على المدارس والخانقاهات التي بنتها ودعمتها بأوقاف كثيرة وضعتها لاستمرارية العمل فيها، فضلاً عن ادوارها الاجتماعية والثقافية ومساعدتها للفقراء، اما الخاتمة فقد تطرقنا فيها الى ابرز ما توصلت الدراسة اليه، ومن ثم انهى البحث بثبت للمصادر والمراجع.

المبحث الاول

سيرة الاميرة ست الشام

أولاً: اسمها ونسبها

تنتمي ست الشام الى الاسرة الكوردية الأيوبية المرموقة، المعروفة بدورها الكبير في التاريخ الاسلامي بشكل عام والتاريخ الكوردي في العصر الوسيط بشكل خاص، ست الشام لقب اطلق على (فاطمة) زمرد خاتون بنت ايوب وهي الابنة الاكبر له، كما انها الاخت الشقيقة للملك المعظم شمس الدولة تورانشاه "569–577هـ/ 1173/1181م" والملك سيف الاسلام طغتكين "579–592هـ/1183–1197م" والاخت غير الشقيقة للسلطان صلاح الدين اما اخواتها فلها اخت واحدة فقط تصغرها هي ربيعة خاتون "564–643هـ /1168–1168م"، كما كان لها من المحارم داخل البيت الايوبي بحسب ما ورد في المصادر حوالي خمسة وثلاثين ملكا. (سبط، 1951 /606/8/2؛ ابو شامة، 5/2002 /180؛ ابن كثير ، 100/13/2007).

اطلق عليها لقب ست الشام نسبة لبلاد الشام التي نشأت وترعرعت فيها، ولقبت ايضا بـ "اخت السلاطين" لكثرة اشقائها واولاد اعمامها فهم كما ذكرنا نحو 35 ملكا؛ (سبط، 1951 /606/8/2،606؛ أبو شامة، 5/2002 /180؛ ابن كثير، 100/13/2007) كما تلقبت بـ"عصمة خاتون " او "الخاتون العصمية" لشدة اعتصامها بدينها ومداومتها في خدمة العلم والعلماء، (ابو العماد الحنبلي، 447/5/1979)، عاشت ست الشام في كنف والدها الذي كان له تأثير ايجابي في بناء شخصيته ، وذلك ما قادهم الى الجهاد في سبيل الله ،وبدى ذلك واضحا من خلال ما عرف عنه "انه كان رجلا دينا كثير الصدقات، راجح العقل، فعال

للخير قليل الكلام سمحا كريما وكان يلقب بالملك الافضل" (ابن شداد، 1994، ص31) واكتسبت ست الشام تلك الصفات الحميدة من والدها .

ثانياً: ولادتها وحياتها الاجتماعية

لم ترد في المصادر التي بين ايدينا اية معلومة تشير الى سنة ولادة ست الشام كل ما ذكر عن ولادتها انها ولدت في مدينة دمشق. دون التطرق الى السنة، اما حياتها الاجتماعية فقد ورد **في** المصادر أنها تزوجت من الامير عمر بن لاجين، وانجبت منه ابنها حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين (ت587هـ/1191م)، ويرجح ان ذلك الزواج لم يدم طويلاً ذلك لعدم وجود معلومات كافية حول التفاصيل الاخرى من حياتها الشخصية خلال ذلك الزواج ،مما يدل على انه لم يدم طويلا، كما ان تكفل اخوال حسام الدين بتربيته دليل على وفاة زوجها مبكراً، فضلاً عن حجم التأثير الذي تركه اخوال حسام الدين في شخصيته، وقد ظهرت تلك التأثيرات من خلال مواقفه ودعمه لخاله السلطان صلاح الدين الايوبي، حيث كان من كبار اعوانه. (ابن الاثير، 2002/ج9/ص182-184؛ ابو الفداء، 2020/3/71- 72؛ الطائي، 2013، ص3).

بعد وفاة زوجها عمر بن لاجين تزوجت ست الشام من ابن عمها الامير الناصر محمد بن شيركوه (564ـــ581هـ/1169ـــ1186م) الملقب بالملك القاهر. وذلك ما اتفق عليه كل من ابن الاثير "ت630هـ/1233م" وسبط ابن الجوزي "ت654 هـ/1256م" اذ ذكرا ان ست الشام من بعد وفاة الامير لاجين تزوجت من ابن عمها ناصر الدين محمد بن شيركوه (ابن الاثير، 329/9/2002؛ سبط، 104/2/8/1951ـــ105). وكان زواجا اشبه ما يكون بالزواج لسياسي، وذلك لوجود خلافات بين صلاح الدين وابن عمه حول احقية اخذ الحكم، باعتبار ان ناصر الدين هو ابن اسد الدين شيركوه "ت564هـ/1169م" صاحب الوزارة في مصر وهو احق بحكمها من صلاح الدين، فاراد الاخير اعادة العلاقات من جديد فقام بمصاهرة ابن عمه لإنهاء تلك الخلافات بذلك الزواج. للتفصيل ينظر: (ابن خلكان، 307/1/1977).

توفي الناصر محمد بن شيركوه سنة (581هـ/1185م) الامر الذي دفع بست الشام على ان تنتقل مع اولادها من حمص الى دمشق والعيش بمعية اخويها صلاح الدين والعادل"539 ـ 615هـ/1144- 1218 م". وكان زوجها ناصر الدين قد ترك لها ثروة هائلة، حيث بنت بها بيت كبير امام البيمارستان النوري واتخذته مستقرا لها، ومن الواضح ان ست الشام اخذت القسم الاكبر من ثروة ناصر الدين ،والتي قدرت بألف الف دينار (ابن خلكان، 480/2/1977؛ ابو شامة، 2002/3/ 157ـــ158)، وكانت حصة ست الشام من تلك التركة الثمن، والباقي قسم ووزع على المستحقين بمقتضى الشريعة الاسلامية (ابن واصل، 174/2/1972/ 175).

ثالثاً: أولادها

لم تنجب ست الشام من زوجها الاول من الاولاد غير حسام الدين (الحنبلي، 1968، 324) الذي رافق خاله السلطان في صراعه مع الصليبيين فقد عهد اليه الكثير من المهام العسكرية المهمة مثل حصار الفرنج بنابلس في سنة (583هـ/1187م) عندما حاصرهم حصاراً ادى الى تسليمهم المدينة بدون قتال (للمزيد ينظر: ابن واصل، 158/2/1972ـــ159)، كذلك استطاع السيطرة على سبسطية احدى قرى نابلس، واخذها من ايدي الصليبيين وسلمها الى المسلمين وفي الفتحين اقر حسام الدين الناس على اموالهم واملاكهم، (ابن الاثير ،381/9/2002) .

حين توفي حسام الدين في التاسع عشر من رمضان سنة (587هـ/1191م) اثر مرض كان قد اصابه، ودفن في التربة الحسامية المنسوبة اليه في الشامية الكبرى في ظاهر دمشق، التي بنتها والدته ست الشام وسميت على اسمه (ابن شداد، 289/1994؛ الصفدي، 2010 /3 /313)، وهي نفس السنة التي توفي فيها صاحب حماه تقي الدين المظفر (ابن الاثير، 462/9/2002؛ ابن شداد، 1994/ 295 ؛ ابو شامة، 2002/ 4/ 170-171، ابن الوردي، 1969 /ج2/149).

انجبت ست الشام من زوجها ناصر ولدا وهو اسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه (569ـ637هـ/1173ـ1240م) ثلاث بنات وهن "سفري خاتون" و"خطجلي خاتون" بالإضافة الى بيدة خاتون، جاء ذكر أسمائهن في المرويات التاريخية، فبالنسبة لابنها شيركو وبنتها سفري خاتون ذكرهم .المؤرخ ابن تغري بردي "ت874هـ/1470م" بان صلاح الدين عند وفاة الناصر شيركوه استدعى اولاد اخته ست الشام: شيركوه بن محمد بن شيركوه واخته سفري خاتون وقال لأخيه العادل "اقسم التركة بينهم على فرائض الله تعالى....." (1963،/ج6/103).وجاء ذكر ابنتها سفري خاتون وابنها شيركوه بن محمد عند سبط ابن الجوزي أيضاً حين قال "وقد وصفت تركة ست الشام هي وابنتها سفري خاتون وابنها شيركوه بن محمد تركة عظيمة معظمها مناطق ذهب وفضة اضافة الى جواهر واموال عظيمة" (387/2/8/1951)، كما وذكرهم ابن شداد (ت632هـ/1239م) ضمن احداث سنة "582هـ/1186م" عند عودة السلطان الى بلاد الشام وفي اثناء قدومه لدمشق لقيه اسد الدين شيركوه ابن محمد بن شيركوه بتل السلطان ومعه اخته (120/1994) دون ذكر اسمها، أما ابن شداد الحلبي "ت684هـ/1285م" في الاعلاق أورد أن لها من زوجها الناصر ولد اسمه شيركوه بن محمد بن شيركوه وبنتا تسمى بيدة خاتون (1991/1/ق426/2)، وقفت بعض المصادر

على شخصية ابنها ووصفته بانه كان مثل ابيه (شجاعاً مقداما ذا شهامة) (الصفدي، 332/2/2010ـــ333) ويذكر ابو شامة "ت665هـ/1272م" انه في سنة (614هـ/ 1221م) كانت قد انتهت الهدنة بين الملك العادل والفرنج في دمشق، وحشد المسلمين جيوشهم لمهاجمته، فارسل يستنجد بمن حوله من ملوك المسلمين لمقاتلة الفرنج، فكان اول من ورد من حمص اسد الدين شيركوه فتلقاه الناس ودخل دمشق، واول ما قام به هو مجيئه الى امه ست الشام في دارها عند البيمارستان (155/5/2002).

يذكر ابن شداد اسم ابنة اخرى لها تسمى خطجلي خاتون فقد ورد ذكر اسمها في سياق حديثه عن المعالم الحضارية في بلاد الشام، واشار بوجود خانقاه وحيد في دمشق وهو لابنة ست الشام خطجلي خاتون (192//1/1988) وفي مواضع اخرى أشار الى وجود ابنتين من بناتها دون ذكر اسمائهما: "وسارت على درب ست الشام ابنتاها" (ابن شداد، 239/2/1/1988) ويقصد بابنتها سفري خاتون وخطجلي خاتون او خطجلي خاتون وبيدة خاتون، وفي موضع اخر يقول "انهما بنتا خانقاه" (ابن شداد، 236/2/1/1988)، كما أشار ضمن احداث سنة (582هـ/1186م) أن لسلطان صلاح الدين قام بتزويج احدى بنات اخته ست الشام لابنه الاكبر الملك الافضل "589ـ692هـ/1193ـ1196م"، تكريما لأبناء ناصر الدين (124/1994) هذه الروايات تؤكد بأن ست الشام انجبت من زوجها الثاني ولد وثلاث بنات حسب الاسماء التي ذكرت في المصادر التاريخية، فيكون مجموع اولادها من كلا زوجيها خمسة ولدين وثلاث بنات.

رابعاً: وفاتها

في شهر ذي الحجة من سنة (616هـ/1220م) توفيت ست الشام في دمشق ودفنت في تربتها (العوينية) في المدرسة الشامية البرانية بقاسيون والتي عرفت بالحسامية نسبة الى ولدها حسام الدين (ابن خلكان، 245/3/1977؛ ابو شامة، 180/5/2002؛ الصفدي، 70/12/2010؛ اليافعي،1993/ 306/3؛ شميساني، 1983، ص190)، وتحدثت المصادر التاريخية عن جنازة عظيمة حضرها الناس من كل بقاع الارض، وكان قبرها ملاحقا لقبر ابنها حسام الدين واخيها تورانشاه وزوجها ناصر الدين محمد بن شيركوه (ابن خلكان، 307/1/977؛ ابو شامة، 180/5/2002؛ ابن واصل، 63/3/1972).

خامساً: نعي ورثاء المؤرخين في ست الشام

كان لوفاة ست الشام أثر خاص في نفوس الناس خاصة وعامة، حتى ان العديد من المؤرخين اوردوا خبر وفاتها وكتب البعض في رحيلها رثاء يميزها عن قريناتها في ذلك العصر. وقلما وجد مؤرخا لم يتطرق الى وفاتها وما تركته من فراغ في دمشق لسيرتها الحميدة واخلاقها الحسنة، ومن بين المؤرخين الذين كتبوا في رثاء ست الشام ابو شامة (ت665هـ/1266م) في ذي القعدة من سنة 616هـ/1220م توفيت بدمشق ست الشام بنت ايوب بن شادي، اخت الملوك صلاح الدين والعادل". (180/5/2002) كما اشار ابن شداد (ت684هـ/1286م) الى وفاتها قائلاً "الخاتون اخت الملك العادل بنت ايوب، تزوجها محمد بن شيركوه صاحب حمص توفيت في ذي القعدة سنة 616هـ/1220م ودفنت بتربتها بالعوينية (426/2/1/1991) أما ابن واصل (ت697هـ/1298م) فقد أشار الى وفاتها قائلاً "اخت صلاح الدين وشقيقة الملك المعظم توران شاه، تزوجت الامير لاجين وانجبت منه ابنها حسام الدين ،ثم تزوجت ثانية من ابن عمها الامير ناصر محمد بن شيركوه.. توفيت في ذي القعدة سنة 616هـ/1219م" (63/3/1972)، بينما قال الذهبي (ت748هـ/1347م): ((ست الشام اخت السلطان الملك العادل واقفة المدرستين، دفنت في البرانية كانت سيدة الملكات في عصرها كثيرة البر والصدقات كان يعمل في دارها في السنة بمبلغ عظيم أشربة وسفوفات وعقاقير وتفرقة على الناس)) (144/13/2005)، وعاد في مكان اخر قائلاً: ((اخت السلاطين اولاد نجم الدين ايوب بن شادي، واقفة المدرستين بالبرانية لها بر وصدقات واموال وخدم وهي شقيقة المعظم تورانشاه))، (328/13/2004) كما أشار اليافعي (ت768هـ/1366م) الى وفاتها "ست الشام زمرد خاتون وهي شقيقة شمس الدولة وهي التي بنت المدرسة الاخرى ظاهر دمشق وبها قبر اخيها" (306/3/1993)، بينما قال ابن كثير (ت774هـ/1362م): "ست الشام واقفة المدرستين البرانية والجوانية الست الجليلة المصونة خاتون ست الشام بنت ايوب بن شادي اخت الملوك وعمة اولادهم وام الملوك كان لها من الملوك المحارم خمسة وثلاثون ملكا منهم شقيقها المعظم توران شاه بن ايوب صاحب اليمن" (97/15/2007ـــ98)، ولم يغفل الصفدي (ت764هـ/1362م) عن ذكر خبر وفاتها "ست الشام خاتون اخت السلطان العادل واقفة المدرستين، سيرة الملكات في عصرها كثيرة البر والصدقات كان يعمل في السنة بدارها اشربة كان يعمل في السنة بدارها اشربة وعقاقير بمبلغ عظيم ويفرق على الناس" (70/12/2010) كما اورد ابن تغري بردي (ت874هـ/1469م) خبر وفاتها "ست الشام بنت الامير نجم الدين ايوب اخت السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب، كانت سيدة الخواتين في زمنها كانت كثيرة البر والصدقات كانت تعمل في دارها الاشربة والمعاجين والعقاقير كل سنة بألوف دنانير وتفرقها على الناس وكان بابها ملجأ للقاصدين (1963، 246/6)، اما ابو العماد

الحنبلي (ت876هـ/1471 م) فقد ذكر خبر وفاتها "ست الشام الخاتون اخت الملك العادل بنت ايوب كانت عاقلة كثيرة البر والصدقة بابها ملجأ للقاصدين (66/5/1979).

المبحث الثاني

انجازات الاميرة ست الشام

أولاً: الناحية العلمية

تعتبر الاميرة ست الشام واحدة من ابرز اميرات البيت الايوبي التي كرست حياتها في خدمة العلم والعلماء، كما انها سخرت حياتها لرفعة مدينتها، ووضعت البذور الاولى لبناء تعليمي مميز، وروته بعين الرعاية والاهتمام، وانفقت عليه من سنين عمرها وخزائن مالها، فكانت النتيجة انها اخرجت مدينة فاح عبيرها ليس فقط في دمشق انما وصلت الى المدن المجاورة أيضاً، فجعلت بيتها مقصدا لكل ملهوف وقبلة لكل حائر ومنارة لكل تائه فأفادت القاصي والداني، واستحقت بجدارة ان تكون سيدة السيدات واميرة الاميرات في زمانها ودرة وتاج النساء وسيدة خواتين المصون (ابن كثير، 1988/15/97-98؛ ابو شامة، 180/5/2007)، لذا وصفها الذهبي في كتابه اعلام النبلاء بانها ((سيدة الملكات في عصرها)) (328/13/2004).

1- المدارس

كانت المدارس من احدى اهم ركائز المجتمع الاسلامي في العصر الايوبي، حيث أولى السلاطين والملوك الايوبيين اهتماماً كبيراً بها، وانخرط العديد منهم في اخذ العلوم الدينية والشرعية وحتى العلوم الصرفة، وبرزوا فيها حتى اشادت المصادر بميلهم للعلوم والعلماء، وكانت مجالسهم في الغالب تزخر بالعلماء والفقهاء فضلاً عن الامراء، كما ان ملوك بني ايوب وامراؤهم وولاتهم وزوجاتهم وبناتهم واخواتهم من الاميرات والخواتين قاموا بإنشاء المدارس، واوقفوا عليها جميعا اوقافا من الاموال والضياع والبساتين والخانات والحوانيت حتى باتت دمشق وضواحيها اوقافاً مبثوثة لتلك المدارس (شميساني، 1983، ص33)، كان الغالب على المدارس وقتها انها تنسب الى مؤسسيها وتسمى بأسمائهم وقلما عرفت مدرسة باسم مدرسيها او مكان وجودها مثل التي بنتها ست الشام، وكان بانيها يوقف عليها الاوقاف ما يكفي للصرف عليها وصيانتها، وللإنفاق على مدرسيها وطلبتها ومستخدميها (المزيني، 2003، ص 126؛ الحازمي، 2009، ص205).

ساهمت الاميرة ست الشام بشكل ملحوظ في بناء المؤسسات التعليمية ومن ضمنها المدارس ودور العلم، واوقفوا عليها الاوقاف الحسنة، اذ يذكر ذلك ابن جبير (ت614هـ/1217م) أن: "من النساء الخواتين ذوات الاقدار من تأمر ببناء مسجد او رباط او مدرسة، وتنفق عليها الاموال الواسعة وتعين لها من مالها الاوقاف" (2003، ص248).

كانت هذه المدارس تتناول مختلف مراحل الدراسة، ولكل منها مذهبها الذي تتبعه والبعض منها كان قد شمل مذهبين أو اكثر، وكانت تلك المدارس مراكز لتدريس العلوم الدينية والدنيوية على السواء مع اعطاء اولوية للثقافة الدينية، وكان ينتقي للتدريس في تلك المدارس اعلام الائمة وكبار العلماء من المقرئين والمحدثين والفقهاء (شميساني، 1983، ص39) ولم تخلو سيرة ست الشام من ذلك الفضل وتلك المساهمة، حيث قامت بالتكفل لبناء مدرستين.

أ- المدرسة الشامية الجوانية:

نسبت تلك المدرسة الى ست الشام، كانت تقع قبلي البيمارستان النوري داخل دمشق لصيق الضبيانية من الغرب في المحل الغربي لزقاق المحكمة، (العلموي، 46،1974–47؛ علي، 1972 /79–180؛ باشا، 128/1989)، ويبدو انها كانت من قبل دارا للأميرة ست الشام، حيث تذكر المصادر ان دارها تقع بالقرب من البيمارستان النوري بدمشق (ابن كثير، 23/7/2007)؛ وذكر النويري (ت733هـ/1332م) ان الاميرة ست الشام عندما اصابها المرض "جعلت دارها مدرسة ووقفت عليها اوقافاً (97/29/1992)، ولما توفيت دفنت فيها ،ثم نقل جثمانها بعد ذلك الى المدرسة الشامية البرانية، وكان هناك نقش على بابها ومضمونة "امرت الاميرة ببناء هذه المدرسة الخاتون الكبير ست الشام وقف على العلماء والمتفقهة من اصحاب الامام الشافعي في شهر رمضان المبارك سنة 628هـ/1230م" (العلبي، 1989، 126).

كانت المدرسة احادية المذهب، فتخصصت بدراسة المذهب الشافعي فقط (ابن شداد، 1988/1/2233–234؛ الاربلي، 1974، ص12؛ النعيمي، 1990/1 /227-236؛ الحازمي، 213/2009).

اشترطت ست الشام على من يعمل في المدرسة من الفقهاء والمتفقهة والمدرسين والمؤذن والقيم، عليهم ان يكونوا من اهل الخير والصلاح وحسن الطريقة وسلامة الاعتقاد والالتزام بالسنة والجماعة غير منسوبين الى بدعة أو شر (شميساني، 1983،

ص192)، كما اشـــترطت على المدرس بتلك المدرســـة ان لا يدرس في غيرها من المدارس (النعيمي، 1990/1/ 209) على الارجح ان المدرســـين كانوا يجمعون بين عدد من المدارس في اوقات متفاوتة، وذلك تبعاً لأوقات الفراغ المتوفرة لديهم ، كما واشترطت عليهم أيضاً ان يكون الملحقون بالمدرسة في مستوى مالي لائق والا يزداد عدد الفقهاء والمتفقهة المشتغلين بالمدرسة عن عشـــرين رجلا من جملتهم المعيد والامام بالإضـــافة الى المدرس والمؤذن والقيم، واشـــترطت في ما اذا زاد الوقف وارتفع حاصله فللناظر ان يقيم ويزيد رواتب الهيئة التدريسية بقدر ما نما وزاد (النعيمي، 227/1/1990؛ شلبي، 367/1954) وعلى ما يبدو ان الهدف من وضع تلك الشروط، هو رفع شأن المدرسة علمياً، وحصول المدرس على مكانة علمية مرموقة.

تولى التدريس فيها جماعة من العلماء المشهورين من عظماء الشافعية ابرزهم: الشيخ تقي الدين ابو عمرو عثمان بن صلاح الشهرزوري الفقيه الشافعي الذي كان احد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه واسناء الرجال وما يتعلق بعلم الحديث وفقه اللغة، توفي سـنة (643هـــ/1245م) في دمشـق عن 66 عاماً، كما ودرس فيها الشـيخ شـمس الدين عبد الرحمن المقدســي (ت682هـ/1284م) ثم انتزعت من يده واعطيت للشيخ عز الدين ابن الصايغ وكان شريكا لشمس الدين في التدريس، ودرس فيها ايضـا الشـيخ تاج الدين محمد بن ابي عصـرون الذي استمر بها حتى سنة (674هـــ/1276م) (ابن شداد، 2/1/1988/ 233؛ شميساني، 192/1983).

اشـتهرت المدرسـة برواتبها السـخية على المدرسـين، فكان للمدرس راتب قدره مائة وثلاثون درهما فضـيا ناصـرياً، ذلك الى جانب حصـــوله في كل شـــهر "من الحنطة غرارة ومن الشـــعير غرارة" لذا تنافس العلماء على التدريس بها (النعيمي، 302/1/1990).

اندثرت المدرسة وخربت ولم يبقى منها سوى بابها وواجهتها الحجرية واتخذت دور للسكن (علي، 2021، ج1، 82؛ بدران، 1985، ص106) ويذكر العلبي ان المدرسة الشامية الجاونية قد خربت اثناء غزو تيمورلنك سنة 803هـ/1400م، ثم اعيد بناؤها، وفي السنة 1344هـــ/1925م تعرضت تلك المدرسة للحرق، وبقي قسم منها، وتحول مكان المدرسة الى معامل للنسيج ومكاتب للتجارة، ولا تزال بعض الاثار الهامة منها باقية كواجهتها الحجرية (127/1989).

ب: المدرسة الشامية البرانية:

عرفت أيضاً بالمدرسة الحسامية نسبة الى حسام الدين عمر بن لاجين، ابن الخاتون ست الشام (ابو شامة، 2002، ص180؛ الصـابوني، 1957، ص340؛ لنعيمي، 236/1/1990) بدأت ست الشـام بإنشـاء تلك المدرسـة سـنة "582هـــ/1186م"، وتقع المدرسة الى الغرب من مدينة دمشق، بالشرف الاعلى الشمالي (النعيمي، 1990، ج1، 126؛ شميساني، 187/1983)، بظاهر دمشق بمحلة العونية (ابو شامة، 9/5/2002، ص180)، ويذكر ان مكانها كان يعرف بالعقيبة الكبرى بالقرب من سوق صاروجا الذي كان يســـمى من قبل بالعينية (ابو شـــامة، 2002، 180؛ النعيمي، 1990/1/ 208؛ بدران، 104/1985)، كانت المدرســـة احادية المذهب حيث اوقفتها سـت الشـام على اصـحاب المذهب الشـافعي (النعيمي، 209/1/1990؛ الاربلي، 12/1974) وكانت حصنا حصينا للشافعية (النعيمي، 1990، ج1، ص209؛ العلبي، 1989، ص125)، وعرفت بالمدرسة الشامية البرانية تميزا عن الشامية الجوانية (الريحاوي180/2005).

تعتبر المدرسـة من اكبر المدارس واعظمها في مدينة دمشـق ،وبها الكثير من الفقهاء وقد وصـفها ابن شـداد "بانها من اكبر المدارس واعظمها، واكثرها فقهاء واوقافا" (1988/ق1/ج252/2) وذلك لكثرة الاوقاف التي اوقفتها عليها الخاتون ست الشام،

حتى تضـمن سـت الشـام اسـتمرار ما اوقفته على المدرسـة الشـامية البرانية، ولكي لا يتعدى عليه أحد ارسـلت وكيلها ابن الشيرجي الى قاضي القضاة زكي الدين ليحضر اليها بدارها فحضر ومعه أربعون عدلاً من أعيان دمشق ليشهدوا على انها اوقفت املاكها على تلك المدرســـة، وبذلك ظلت المدرســـة التي عرفت بالشـــامية البرانية قبلة للعلم والعلماء طوال العصـــر الايوبي، واسـتمرت حتى العصـر المملوكي، فتخرج منها الكثير من العلماء والفقهاء والمحدثين والمفسـرين، منهم تقي الدين بن الصـلاح، وشمس الدين بن الاعرج، وشمس الدين بن المقدسي وغيرهم كثير (النعيمي، 210/1/1990، 211).

تجدر الاشـارة الى ان الاميرة سـت الشـام كان من شـروطها لمن يدرس في هذه المدرسـة الا يجمع بينها وبين غيرها من المدارس (ابو شـــامة، 180/5/2002؛ النعيمي، 1990/1/ 209؛ بدوي، 1960، ص65). ولعل هذا يعطي انطباعاً عن طبيعة عمل المدرسيين في العصر الايوبي، فمنهم من كان يقتصر عمله في مدرسة واحدة، وهناك من كان يجمع بالتدريس بين اكثر من مدرسة.

كانت الاميرة قد كلفت في بناء تلك المدرسة الى شبل الدولة الطواشي الكبير كارفور بن عبد الله (ت 623هـــ/1225م) خادم ابنها الامير حسام الدين وكان يطلق عليه شبل الدولة الحسامي، وقيل فيه "كان دينا صالحا عاقلاً مهيباً، له مشاركة في طلب العلم ،وكان حنفياً، بنى مدرسة للاحناف تسمى الشبلية على نهر تورا بدمشق، وبنى خانقاه بقربها ودفن فيها، (النعيمي، 374/1/1990)

صدر نخبة من العلماء للتدريس بها منهم قاضي القضاة شمس الدين ابو البركات يحيى بن الحسن المعروف بسني الدولة(-735هـ/1237م)، ثم نجم الدين احمد بن راجح بن خلف المعروف بابن الحنبلي (ت638هـ/1240م) (ابو شامة، ص171؛ ابن كثير، 831/2/2007ـــ830)، ومن بعده عز الدين عبد العزيز ابن قاضي القضاة نجم الدين ابي البركات عبد الرحمن، ثم قاضي القضاة محي الدين ابو المفضل يحيى ابن الزكي (ت668هـ/1270م)، كما درس بها القاضي رفيع الدين عبد العزيز ابن عبد الهادي الجيلي (ت637هـ/1229م).

كما درس بها محي الدين بن الزكي (ت638هـ/1228م) أيضاً، فضلاً عن الشيخ محمد بن الحسين بن رزين الشافعي (ت658هـ/1260م) (الداودي، د.ت، ج2، ص138ـــ139) كما ودرس بعده بالإنابة شمس الدين ابو عبد الله محمد المعروف بالمقدسي (ت744هـ/1248م)، وخلفه عز الدين محمد ابن شرف الدين ابن خليل الانصاري (ابن شداد، 1988/ق1/ج2/249-250؛ شميساني، 1983، 111).

بالإضافة الى نخبة اخرى من العلماء الافاضل مما نال شرف التدريس بها منهم الفقيه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن سلطان بن يحيى علي القرشي الدمشقي(615هـ/1218م) (الذهبي، العبر، د.ت/ج3/166؛ ابن قاضي شبهة، 1407هـ/ج3/52) كما تصدر بها الشيخ محمد بن هبة الله بن يحيى بن نبدار ابو نصر الشيرازي (635هـ/1237م) (ابن كثير، 162/13/2007؛ الذهبي، د.ت،/3/224؛ السبكي، 106/8/1964ـ107) كما تولاها الشيخ محمد بن يونس بن بدران بن فيروز بن صاعد القرشي الدمشقي (ت654هـ/1256م) (اليونيني، 1992/ج1/ص34-35)، ثم جاء بعده الشيخ احمد بن احمد بن نعمة بن احمد شرف الدين النابلسي المقدسي (ت674هـ/1275م) (السيوطي، 294/1/1976-295).

احترقت المدرسة تماماً في سنة "793هـ/1390م" (بدران، 1985، ص106؛ العلبي، 1989، ص125)، وكانت المدرسة في زمن محمد كرد علي قد تم تحويلها الى مدرسة ابتدائية للأيتام تقوم جمعية الاسعاف الخيري بالأشراف عليها (6/2021، ص81؛ بدران، 104/1985)، واجريت عليها اصلاحات عدة في الاربعينيات من القرن العشرين، وفي سنة" 1408هـ/1987م" اجريت عليها تغييرات شاملة عليها، وهدم سقفها وفناؤها، كما ازيلت الدور التي كانت تشغل قسما منها (العلبي، 1989، ص125).

اضافة الى ذلك كانت هناك مدرسة اخرى وهي المدرسة الحدادية، التي انشاها ابنها حسام الدين بن لاجين واليه تنسب المدرسة الحدادية، وكانت تقع في محلة السفاحية، وكانت في الاصل من الكنائس الاربع التي صيرها ابن الخشاب مساجد فهدمها وبنا مكانها المدرسة الحدادية، وكانت قد بنيت بناءً وثيقاً، وتولى التدريس فيها العديد من المدرسين، وكانت عامرة في اواخر القرن العاشر، ولم يبقى من اثارها سوى باب كبير مكتوب على طرفه الايمن الحمد لله (علي، 108/6/2021).

من مظاهر ثراء الاميرة ست الشام كثرة الاوقاف التي اوقفتها على المدارس التي قامت ببنائها، لأنه كان لابد من مصدر يدر أموالاً تبقي تلك المؤسسات قائمة، لذلك عملت الاميرة ست الشام على وقف العديد من الضياع والبساتين والقرى لتفي بكل تلك المصروفات التي تتطلبها المدارس والمساجد.(النعيمي، 208/1/1990).

فقد اوقفت الاميرة ست الشام على المدرستين البرانية والجوانية أوقافاً كثيرة ومتعددة (الذهبي، 144/13/2005؛ ابن العماد الحنبلي، 97/5/1979). بالنسبة للمدرسة الشامية البرانية اوقفت الاميرة ست الشام عليها أوقافاً كثيرة، قدر ما اوقفته عليها بـ" ثلاثمائة فدان" من قناة الريحانية* الى أوائل القبيبات وهي محلة بدمشق الى قناة حجيرا من قرى دمشق، ودرب البويضا من قرى دمشق أيضاً، ومنه للوادي التحتاني وادي السفرجل وقدره نحو عشرين فدانا ومنه ثلاثة كروم وغير ذلك (النعيمي، 209/1/1990) والى جانب ذلك قام بفتح طريق للناس الى الجبل من عند المقبرة غربي المدرسة الشامية البرانية الى طريق عين الكرش، ولم يكن للناس طريق الى الجبل من هنا" (ابو شامة، 2002، ص226ـــ227؛ الذهبي، 1993، ج1، 163). وتم افتتاح بمراسيم واجريت حفلات رسمية لها حضرها الامراء والعلماء (العلبي، 1989، ص124؛ بدران، 1985، ص104).

اما بالنسبة للأوقاف التي اوقفتها الاميرة ست الشام على المدرسة الجاونية فلا تقل أوقافها عن اوقاف المدرسة الشامية البرانية، وقد اثبت المؤرخون تلك الاوقاف بدقة، فتذكر المصدر ان جميع دار دمشق ومنه بظاهر دمشق ضيعة تعرف ببزنة وحصة مبلغها احد عشر سهما من اربعة وعشرين سهما تعرف بـ "جرمانا" ومن بيت لهيا، ومنها اربعة وعشرين سهما من ضيعة تعرف ،ضيعة تعرف بالتينة من جبة عسال، ومنه جميع الضيعة المعروفة بمجيدل القرية، ومنه نصف ضيعة تعرف بمجدل "السويداء في نواحي دمشق (السبكي، 71/2/1964؛ النعيمي، 1990/ج1، ص227؛ بدران، 1985، 106؛ علي، 2021، ج6، 82) وقفاً على الخاتون ست الشام، ثم على احفادها من بعدها، فاذا لم يبقى من يرثها تعود تلك الاوقاف على المنتسبين للمدرسة من الفقهاء والمدرسين وكافة المشتغلين بها (النعيمي، 1990، ج1، ص227-228).

نستنتج مما سبق ان تلك الاشياء كانت موقوفة على الاميرة ست الشام نفسها فترة حياتها، ثم من بعدها ابنة ابنها حسام الدين "زمرد خاتون"، ومن بعدها لأولادها للذكر مثل حظ الانثيين ثم على احفادها ومن يقي من نسل حسام قائماً. لكثرة اوقافها وصفها ابن تغري بردي "صاحبة الاوقاف والاربطة بدمشق" (217/2/1963).

ثانيا: المؤسسات الدينية الخانقاهات

1ـــ الخوانق جمع خانقاه، وهي لفظ غير عربي وتعني المائدة او المكان الذي يأكل فيه الملك، بعد ذلك صار يطلق على الدور التي يقوم بإنشائها الملوك والامراء والمتحمسون للدين (المقريزي، 414/2/1970).

تعتبر الخانقاهات بيوتا خاصة بالمريدين المتصوفة الفقراء من رجال ونساء، يخلون فيها الى انفسهم ويتفرغون للعبادة، لذا كانت تبنى على شكل مساجد للصلاة، وهذا يبين بان الخانقاه كان دارا للصوفية والمتعبدين (مصطفى، 386/2/1988)، وقد رتب في هذه المؤسسات دروس للفقه على المذاهب الاربعة بالإضافة الى دروس في الحديث وقراءة القران ودروس الصوفية، وتولى تدريسها جميعا شيوخ ومدرسون وقراء (حطيط، 2003، ص223).

كان الخانقاه يعتبر مكان يلجأ اليه العلماء الوافدين من مختلف بقاع العالم الى دمشق (السبكي، 1964 /390/6) الا انه وبمرور الزمن انحسر وضعف دور الخانقاهات العلمي، بسبب عزوف الكثير من العلماء عن النزول بها، والاستعاضة عنها بالمدارس التي كان بها اماكن اقامة للعلماء الوافدين والطلاب (ابو شامة، 138/2002؛ النعيمي، 1990، ج1، ص266ـــــ411). اما في دمشق وفي فترة البحث فانه وجدت فيها عدد كبير من الخانقاهات، ذكر ابن شداد انه كان بها في العصر الايوبي تسعة عشر خانقاها، سبعة منها تنسب الى النساء (1988/ 191/2/1-196).

اما ما يخص الخانقاهات التابعة للأميرة ست الشام فكان تسمى بالخانقاه الحسامية نسبة الى ولدها حسام الدين بن لاجين، تقع شمال المدرسة الشبلية البرانية عند جسر كحيل خارج دمشق بالشرف القبلي(ابن شداد، 190/2/1/1956؛ النعيمي، 1990/2/ 112).

اما السنة التي بنيت فيها ذلك الخانقاه على الارجح كانت بتاريخ "587هـ/1191م" اي السنة التي توفي فيها ولدها حسام الدين لاجين. وقد سكن فيها وتولى مشيختها نعمان بن فخر الدين بن يوسف الحنفي "شرف الدين"، اخذ العلم من والده، جاء الى دمشق وسكن المدرسة النورية، تولى مشيخة الحسامية وسكنها وتزوج بها، وكان قد تولى التدريس بالمدرسة العزية البرانية، له مشاركة في النحو والاصول وبعض العلوم العقلية، الا انه كان قليل المعرفة بالفقه والفتاوي، توفي في المارستان النوري سنة "عن عمر ناهز السبعة والسبعين سنة"، ودفن في المقابر الصوفية (ابن شداد، 216/1/1956؛ النعيمي، 383/1/1990ـــــ427؛ علي، 634/2/2021) وهناك خانقاه اخر انشاته الخاتون خطجلي، او خاتون خط الخير "ابنة الاميرة ست الشام" سمي "خانقاه القصاعية"، اسستها خارج دمشق بالشرف القبلي (ابن شداد، 192/1956).

نستشف مما سبق ان اشارات المؤرخين كانت عابرة عن تلك المؤسسات، ولم توضح ما يدار في تلك الخانقاهات من ناحية التدريس او التأليف او ما تحويه من مكتبات او اسماء العلماء الذين درسوا فيها ،سوى اشارات مقتضبة.

2- التربة

تختلف التربة عن المقبرة ،فالمقبرة تمثل المكان العام لدفن الناس، اما التربة فهي المكان الخاص لدفن شخص واحد او يضم افراد الاسرة الواحدة ،وقد انتشرت التربة في دمشق من خلال قيام امراء وملوك وكبار رجال الدولة من العلماء والقضاة ببناء ترب خاصة لأنفسهم في حياتهم، واحياناً كانت تبنى بعد مماتهم، ولم يكن لتلك التربة مكان خاص كما لا يشترط ان تبنى داخل المقابر، فأحياناً كثيرة كانت تبنى خارج دمشق، واهتمت بعض نساء بني ايوب ببناء التربة خاصة بهم وبأفراد اسرتهم، لايزال البعض منها قائما الى يومنا هذا. (صديق، 205/2016).

شكلت الاميرة ست الشام حلقة مكملة لتاريخها الزاخر بالعطاء، ضمن مسيرتها الحافلة بالإنجازات، فحبها للخير وكثرة صدقاتها ووقفها الكثير من ممتلكاتها للأعمال الخيرية، دفعها الى بناء تربة خاصة بها وبعائلتها، عرفت بـــ "التربة الحسامية"، نسبة الى ولدها حسام الدين ولم تذكر المصادر اية معلومات عن تلك التربة سوى انها تقع بمحلة العونية شمالي دمشق بجانب المدرسة الشامية البرانية من جهة الغرب.(ابو العماد الحنبلي، 66/5/1979؛ بدران، 274). وقد ضمت تلك التربة رفات عدد من امراء البيت الايوبي منهم الامير حسام الدين نفسه (ابن شداد، 289/1964؛ الصفدي، 313/3/10)، فضلاً عن الامير تورانشاه، وقامت الاميرة ست الشام بنقل جثمانه من الاسكندرية، ودفنته في تلك التربة. (ابن كثير، 27/12/2007 6؛ شذرات، 66/5؛ اليافعي، 3/1993 /306).

دفن فيها أيضاً زوجها الامير الناصر محمد بن شيركوه (ابن شداد، 192/2/19). ودفنت فيها ايضا الاميرة ست الشام، وكان قبرها ملاحقا لقبر ابنها حسام الدين واخيها تورانشاه وزوجها ناصر الدين محمد بن شيركوه (ابن خلكان، 307/1/977؛ ابو شامة، 180/5/2002؛ ابن واصل، 63/3/1972).

ثالثاً: المؤسسات الصحية:

1- الحمامات

من المنشآت الاجتماعية التي حفلت بها اغلب المدن في العصور الاسلامية الحمامات (الحنبلي، 1968،2/48)، التي شكلت بدورها معلما حضاريا بارزا ومهما، ظهرت من خلالها معالم عمرانية جميلة، كما ان الحمامات كانت ملتقى للحياة الاجتماعية للرجال والنساء، ولم تكن منتجعا للاستحمام فحسب، بل كانت مكاناً يجتمع فيه ابناء الحي، وكانت العادة ان حمام الرجال يكون افتتاحه عند صلاة الفجر حتى الظهر، وحمام النساء من الظهر الى المساء. (كيال، 1986، ص9-10)

ساهم الملوك والامراء في العصر الايوبي ببناء العديد من الحمامات، وكان شاهدا على دورهم الحضاري البارز، ولم تكن النساء الأيوبيات بمعزل عن مثل ذلك المحفل، فإلى جانب المؤسسات العلمية والدينية، كان لها اهتمام بالجانب الصحي الاجتماعي، وقد خلفوا وراءهم عددا من الحمامات ما يجعلهم روادا في ذلك المجال.

كان للأميرة ست الشام حمام في دمشق، انشاته بجانب البيمارستان النوري من الجهة الجنوبية الغربية، ويقع شمال المدرسة الشامية الجاونية (ابن شداد، 1956/ج2/ق1/292).

رابعاً: المؤسسات الادارية.

امتلكت ست الشام مثل الكثيرين من ابناء البيت الايوبي ديوانا خاصا بها، وانشاء تلك الدواوين وانشاء تلك الدواوين اعتمد بالدرجة الاساس على حجم ثرواتهم الشخصية، ويظهر ثراء بعض امراء واميرات بني ايوب من خلال المنشآت التي اقمنها، في ذلك العصر كالدواوين والمدارس والخانقاهات والترب. (القضاه، 171/2007) وبالنسبة للأميرة ست الشام فعلى ما يبدو ان ثروتها الكبيرة واوقافها الكثيرة تطلبت منها انشاء ديوان خاص بها. ومن خلال سردنا للنصوص المتعلقة بأعمال وانجازات الاميرة ست الشام اتضح لنا بان ست الشام كانت قد اعطت صلاحية ادارة ديوانها لابن الشيرجي لأنه كان اهلا للثقة واميناً كيساً، وكان في نفس الوقت يتولى عمل ناظر الاوقاف في المدرستين والخانقاه التابعة لها. (ابن كثير، 143/13/2007).

حري بنا التطرق الى ان الاميرة ست الشام كانت كثيرة الصدقات والاحسان للمحتاجين، اضافة الى اهتمامها برعاية الفقراء، جعلت بيتها الكبير مقصدا للاجئين وملاذا للخائفين من ملاحقات البيزنطيين، لذا وصفها ابو شامة "كثيرة البر والصلات والاحسان والصدقات" (180/5/2002) وصفها آخرون بانها "كانت اكثر النساء صدقة واحسانا الى الفقراء والمحاويج (المعدومين) وتعمل في كل سنة في دارها بألوف من الذهب اشربة وادوية وعقاقير وغير ذلك فيفرق على الناس (الصفدي، 70/12/2010؛ ابن كثير /2007/ 100/13). وهي بذلك لابد ان تكون صاحبة املاك واموال وثروة كبيرة تستطيع تحمل نفقات تلك الاعمال.

قد وصل بها حال البر والاحسان الى ان اعتقت بعض مماليكها لوجه الله، فتأسى بها اولئك العتقاء، حيث ساروا على نهجها في اعمال الخير والبر، بان حول احدهم وهو جمال الدولة اقبال خادم صلاح الدين "ت 607هـ/1207م" داريه بدمشق الى مدرستين سميت "بالمدرسة الاقبالية" المدرسة الكبيرة للشافعية والمدرسة الصغيرة للحنفية، واوقف عليهما وقفاً، المدرسة الحنفية لها ثلث الوقف والثلثان الباقيان للمدرسة الشافعية (ابو شامة، 59/5/2002)، ذكر النعيمي بانه على عتبة باب المدرسة "وقف هذه المدرسة المباركة الامير الاجل جمال الدين اقبال عتيق الخاتون الاجلة ست الشام.... على الفقهاء من اصحاب الامام سراج الامة الشريفة النعمان ابي الحنفية رضي الله عنه، واوقف عليها الثمن من الضيعة المعروفة بالمسوقة...." (1/1990/ 118-119).

اما فيما يخص انجازاتها والاعمال الخيرية التي قدمتها لأبناء جلدتها في دمشق، فنجد ان ست الشام اختارت منحى متميزا من اعمال الخير، فتعلمت صناعة الادوية والرعاية الطبية، وانشأت مصنعا للأدوية، فاعتبرت ست الشام اول من دخل ذلك المجال، لأنها احست بحاجة المجتمع الى الادوية التي لابد ان بعضها كان ذا اثمان باهظة، فما كان منها الا ان جعلت منزلها بمثابة معمل للأدوية وكانت تصنع فيه الادوية سنويا بآلاف الدنانير، ثم توزعها على المرضى وذوي الحاجة (ابو شامة، 2002/ 5/ ص1 80؛ الصفدي، 2010 /70/12 .

اهتمت ست الشام بعلم الطب وعلم العقاقير واهتمامها بتلك العلوم كان الهدف منه معالجة المرضى الامر الذي جعلها قريبة من الاطباء وعلى صلة بهم ،منهم الطبيب رشيد الدين علي بن خليفة بن ابي اصيبعة، "ت661هـ/1263م"، صاحب كتاب "عيون الانباء في طبقات الاطباء"، (باشا، 152/1989)" وبدأت العلاقات بينها وبين الطبيب في سنة "615هـ/1220م" عندما استدعاه الملك العادل الى دمشق وولاه طب البيمارستانات بدمشق، وتوالت الزيارات بينهما، صرف له الملك العادل "جامكية" اي راتب وجراية" وتعني "ارزاق من الطعام"، وأيضاً الاميرة ست الشام صرفت له راتباً في الطب، وكان يتردد باستمرار الى دارها (ابن ابي اصيبعة، 1965، ص721) .

تشير المصادر التاريخية الى ان اهتمام الاميرة ست الشام بالطب وما يتعلق به ارتبط بحالتها الصحية حيث انها كانت قد تعرضت في السنوات الاخيرة من عمرها لمرض في الكبد مما كان يسبب لها نزيفا تنزف بسببه دما كثيراً، ولم يتمكن احد ممن حضر لمعالجتها من ايجاد دواء يعالج حالتها المرضية ،الى ان تم علاجها من قبل الشيخ مهذب الدين يوسف بن ابي سعيد "ت624هـ/1228م" كان شيخا بلغ من الفضائل اعلى الرتب وكان كثير الاحسان فاضل النفس صائب الحدس وقرا صناعة الطب

على الحكيم ابراهيم السامرائي، واتقن بذلك الصناعة الطبية، وتميز في العلوم الحكمية ومن حسن معالجته انه نجح في معالجة الاميرة ست الشام (ابن ابي اصيبعة، 1965/721-722).

لا يفوتنا ان ننوه الى الصعوبات التي واجهت الاميرة ست الشام خلال مسيرة حياتها، على الرغم من المكانة الكبيرة التي نالتها في المجتمع، ففي اواخر ايامها تعرضت بسبب الثروة الطائلة التي كانت تمتلكها الى الكثير من المشاكل من عائلتها وبشكل خاص من ابن اخيها المعظم عيسى (576–624هـ/1180–1227م)، فقد كانت الاميرة ست الشام محل اهتمامه لأنه كان يطمع في ثروتها واراد ان يستولي على اموالها واملاكها، لأنه رأى بأحقيته بتلك الثروة باعتبارها كانت تعيش في كنفهم وكانوا هم المسؤولين عنها فراوا في ذلك احقيتهم بتلك الثروة، لذا فقد منعها من الخروج من دمشق وكان يتهمها ان عندها من الجواهر ما لا يحصى وان مصدر تلك الجواهر كان من القصور بالقاهرة ،رغم ان المعظم عيسى كان كثير الاحسان والبر بها (النويري، 1992/29/63)، فما ان علمت الاميرة بخبث نوايا ابن اخيها واغرائه بثروتها قامت بكتابة وصيتها. (ابو شامة، 2002/5/177-179؛ ابن طولون، 1956/56).

ففي سنة" 616هـ/1220م" زاد عليها المرض فانتهزت فرصة غياب ابن اخيها خارج دمشق في رحلة صيد، وقامت بكتابة وصيتها التي ضمنت فيها ان تكون مدرستها ودارها وقفا بعد وفاتها (سبط، 1951/2/2/604) وجاء ايضاً في وصيتها ان يكون من يدرس في مدرستها من اهل الخير والعفاف والسنة وغير منسوبين الى شر وباقي الاملاك توزع على مصالح المدرسة وعلى الفقهاء والمتفقهة المشتغلين بها وعلى المدرس بها قاضي القضاة زكي الدين "ت617هـ/1221م" أو من يوجد من نسله ممن له اهلية التدريس وعلى الامام المصلي بالمحراب والمؤذن والقيم والمعد لكنسها ورشها وفرشها وتنظيفها وايقاد مصابيحها (النعيمي، 1991/1/ص228)، وارسلت على الفور الى القاضي زكي الدين لتطلعه على ما تنوي اليه بخصوص املاكها. (ابو شامة، 2002/5/178؛ طولون، 1956، ص56) استجاب القاضي على الفور الى ما طلبته منه الاميرة ست الشام، وحضر على وجه السرعة ومعه شهود الى دارها (ابن طولون، 1956، ص56).

يتضح من تلقي قاضي القضاة الامر واستجابته السريعة له، وكتابة الوصية بوجود شهود عيان ان الاميرة ست الشام كانت صاحبة شخصية قوية ومؤثرة، بدرجة ان قاضي القضاة لم ينتظر الملك المعظم عيسى ليخبره بالأمر ويستأذنه، ودخل في طاعة ست الشام وكتب الوصية التي كانت فيما بعد وباء على القاضي نفسه، فما ان علم الملك المعظم عيسى بدخول القاضي لبيت عمته بغير اذنه اعتبر ذلك تجاوزاً على حرمة بيته فتغير على القاضي واذاقه الويلات فيما بعد (ابو شامة، 2002/5/178؛ طولون، 1956، ص56).

لا سيما انه في الاصل علاقته بالقاضي لم تكن حسنة، وكان يحمل له في نفسه شيئا منذ ايام والده، وذلك لعدم خضوع القاضي لرغبات المعظم، ولأنه كان مقرباً من والده لم يكن الاخير قادراً على اذيته وقتها، احتراماً لمكانته واحتراماً لنزاهته واخلاصه لوالده، فضلاً عن ان الدولة الأيوبية كانت معروفة بنزاهة القضاء فيها وبروز مكانتهم منذ عهد السلطان صلاح الدين، الا ان ما حدث كانت فرصة سانحة للملك المعظم من اقصاء القاضي، حيث استغل ذلك الموقف لصالحه واراد ان يتخلص منه بطريقة يظهر فيها ان القاضي لم يلتزم بمكانته ومنصبه كقاضي القضاة وبذلك يتبرأ امام العامة، عندما قام بإرسال رسول اليه ومعه (بقجة فيها قباء وكلوتة)، وامره على ارتداء تلك الملابس حسب اوامر المعظم عيسى امام المتواجدين في المجلس قائلا له ((ان امير المؤمنين الخليفة إذا أراد ان يشرف أحداً من اصحابه خلع عليه ملابسه ونحن نسلك طريقه)) (ابو شامة، 2002/5/178؛ الذهبي، د.ت/3/173؛ طولون، 1956، ص56).

كانت الملابس عبارة عن قباء ابيض وكلوتة صفراء ،وما ان سلمها الرسول له وراها حتى وجم، الا انه ما كان له خيار اخر سوى تنفيذ اوامر المعظم عيسى، فأول شيء اخذه القاضي كان القباء (جمع اقبية وهو لباس خارجي للرجال يطوى تحت الابط بصورة منحرفة) (دوزي، 1971، 185) ووضعه على كتفه ووضع بذلك عمامته على الارض ولبس الكلوتة (وهي كلاو وجمعها كلاوات وهي غطاء للراس تلبس مع العمامة) الصفراء على راسه فكان تصرف المعظم عيسى له وقع كبير في نفس القاضي، ولم يمتد به الاجل طويلا حيث توفي في اوائل سنة (617هـ/1220م)، (سبط، 1951 /2/105/8/2؛ ابن واصل، 1972/ 4/91).

كان السبب من انزعاج القاضي من تصرف المعظم عيسى من تلك الملابس التي ارسلها له، باعتبار ان تلك الملابس هي زي اهل السلطنة، فهي تجعل اهل الحكم لا العدل، ولبسها تعتبر اهانة للقاضي، لأنه ليس من عادة القضاة لبسها، وهذا يبين لنا بان الملابس التي كانوا يرتادوها اهل الحكم اهمية كبيرة ولكل جهة ملابسها الخاصة تميزها عن بعضهم البعض. ويبدو ان المعظم عيسى ادرك سوء تصرفه على ذلك التصرف بحق القاضي (سبط، 1951/9/329).

الحادثة الثانية التي تعرضت لها الاميرة ست الشام حادثة الكرك (مدينة تقع في الاردن حالياً) ففي احدى رحلاتها الخارجية ارتأت الاميرة ست الشام السفر من دمشق الى مكة لأداء فريضة الحج برفقة ولدها حسام الدين وفي الطريق عندما وصلت الى منطقة قريبة من الكرك تعرضت قافلتهم لمداهمة من قبل الصليبيين وتعرض لها حاكم المدينة الصليبية أرناط "ت583هـ/1187م"

وحين بلغ صلاح الدين ما تعرضت له اخته استاء كثيرا واقسم ان يقتل الحاكم أرناط بسبب ما بدر منه، ونقضت الهدنة القائمة بين صلاح الدين والصليبيين، وفي سنة (583هـ/1187م) شن صلاح الدين حرب الجهاد ضد الصليبيين والتي كانت نهايتها قتل أرناط وفتح بيت المقدس (ابن الاثير، 382/9/2002ـــ383؛ ابو الفداء،155/2/2020ـــ156) وبذلك يكون صلاح الدين قد اوفى بوعده لأخته بقتل ارناط.

الخاتمة

1- في ختام هذا البحث يتضح قوة شخصية الاميرة ست الشام والتي تجسدت فيها صفات القيادة والحكمة واثبتت ان المرأة قادرة على تحقيق العظمة والتأثير في ظل الظروف الصعبة، وعلى الرغم من ان التاريخ تغافل عن ذكر العديد من النساء اللواتي كان لهن دوراً محورياً، إلا أن الاميرة ست الشام وقفت كمعلم يشهد له التاريخ بالتميز والالهام.

2- اسهمت الاميرة ست الشام في دعم الاعمال الخيرية والانسانية، وشاركت في تحسين ظروف المستشفيات، بتوفيرها المستلزمات الطبية.

3- تمرست الاميرة ست الشام في العلوم الشرعية فدرست الفقه والحديث على ايدي علماء ذلك العصر فأصبحت تتولى التحديث بنفسها، وعرفت بحبها للعلم والأدب، وكانت تستضيف حلقات ثقافية وادبية في قصرها.

4ـــ كانت للأميرة ست الشام مواردها االمستقلة، والتي مكنتها من انشاء المؤسسات العلمية كالمدارس، وصرفت اموال طائلة عليها، واغدقت عليها الاوقاف السخية، لذا كانت مدارسها الشامية البرانية والشامية الجاونية من اهم المعالم العلمية في دمشق.

5- تركت الاميرة ست منشآت ومؤسسات لا تقل اهمية عن المدارس كالخانقاهات والحمامات وتركت الاميرة ست الشام وراها ارثا انسانيا مميزا جعلتها تتبوأ مكانة بارزة في ذلك العصر.

قائمة المصادر والمراجع

ابن الاثير: عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن محمد الجزري، (ت630هـ/1232م)

1- الكامل في التاريخ، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، (بيروت: 2002).

الاربلي: الحسن بن احمد بن زفر (ت 726هـ/1325م)

2- مدارس دمشق وربطها وجوامعها ،تحقيق محمد احمد دهمان، مطبعة الشرفي، (دمشق: 1974).

ابن ابي اصيبعة: موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم السعدي الخزرجي (ت 668هـ/1229م)

3- عيون الانباء في طبقات الاطباء، تحقيق نزار رضا، مكتبة الحياة، (بيروت: 1965).

الباشا: حسن

4- الادب في بلاد الشام عصور الزنكيين والايوبيين والمماليك، دار الفكر المعاصر، (بيروت: 1989).

بدران: عبد القادر

5- منادمة الاطلال ومسامرة الخيال (الاثار الدمشقية والمعاهد العليا)، اشراف: زهير الشاويش، ط2، المكتب الاسلامي، (بيروت: 1985).

بدوي: احمد احمد

6- لحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار النهضة المصرية للطبع والنشر ، (القاهرة: 1960).

ابن تغري بردي: جمال الدين ابي المحاسن يوسف (ت874هـ/1470م)

7- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1963).

ابن جبير: محمد بن احمد الكناني الاندلسي (ت614هـ/1217م)

8- رحلة ابن جبير، تحقيق ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت: 2003).

الحارثي: عبد الله بن ناصر بن سليمان

9ـ الاوضاع الحضارية في اقليم الجزيرة الفراتية في القرنين 6ـ12/7ـ13م، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، تقديم مصطفى عبد القادر النجار، دار العربية للموسوعات، (بيروت: 2007).

الحازمي: ناصر محمد علي

10- الحياة العلمية في دمشق في العصر الايوبي، معهد البحوث العلمية واحياء التراث الاسلامي، (مكة: 2009).

حطيط: احمد

11- قضايا من تاريخ المماليك السياسي والحضاري (648-923هـ/1250-1517م)، مكتبة الفرات، (بيروت: 2003).
الحنبلي: احمد بن ابراهيم (876هـ/1471م)
12- شفاء القلوب في مناقب بني ايوب، تحقيق ناظم رشيد، دار الحرية، (بغداد: 1978).
الحنبلي: ابو الفلاح عبد الحي ابن العماد، (ت1089هـ/1678م)
13- شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق لجنة احياء التراث العربي، (بيروت: 1979).
الحنبلي: ابو اليمن مجير الدين (ت 982هـ/1521م)
14- الانس الجليل بتاريخ القدس الخليل، تقديم: محمد بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، (النجف: 1968).
ابن خلكان: ابو العباس احمد محمد، (ت681هـ/1282م)
15- وفيات الاعيان وانباء الزمان، تحقيق احسان عباس، ط2، دار صادر ، (بيروت: 1977).
الداودي: الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن احمد (ت945هـ/1538م)
16- طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، راجعه لجنة من العلماء بإشراف الناشراف (بيروت: د.ت).
دوزي: رينهارت
17- المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة: اكرم فاضل، مديرية الثقافة العامة، (بغداد: 1971).
الذهبي: شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، (748هـ/1347م)
18- تاريخ الاسلام ووفيات مشاهير الاسلام والاعلام، تحقيق عبد السلام تدمري، دار الكتب العلمية، (بيروت: 2005).
19- سير أعلام النبلاء، تحقيق محب الدين ابي سعيد عمر العمروي، دار الكتب العلمية، (بيروت: 2004).
20- العبر في خبر من غبر، تحقيق ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، (بيروت: د.ت).
الريحاوي: عبد القادر الريحاوي
21- روائع التراث في دمشق، التكوين للطبع والنشر، (دمشق: 2005).
سبط ابن الجوزي: شمس الدين يوسف بن قزاوغلي التركي، (ت654هـ/1256م)
22- مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد: 1951).
السبكي: ابو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت771هـ/1369م)
23ـــ طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناجي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1964.
السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن (ت911هـ/1505م)
24- المستظرف من اخبار الجواري، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، (بيروت: 1976).
ابو شامة: شهاب الدين ابو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي (ت665هـ/1266م).
25- تراجم رجال القرنين السادس والسابع (المعروف بالذيل على الروضتين)، تحقيق ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت:2002).
26ـــ كتاب الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت: 2002).
ابن شداد: بهاء الدين يوسف بن رافع الاسدي (ت622هـ/1224م)
27ـــ النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو (سيرة صلاح الدين الايوبي)، تحقيق جمال الدين الشيال، ط2، مكتبة الخانجي، (القاهرة: 1994)
ابن شداد:عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم (ت684هـ/1285م)
28ـــ الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ،تاريخ دمشق، تحقيق سامي الدهان، المطبعة الكاثوليكية، (دمشق: 1956)، تاريخ الجزيرة الفراتية، تحقيق يحيى زكريا عبارة، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، (دمشق: 1978).
شلبي: احمد
29- موسوعة النظم والحضارة الاسلامية ونظمها، فلسفتها، مكتبة النهضة المصرية، (مصر: 1954).
شميساني: حسن كامل
30- مدارس دمشق في العصر الايوبي، دار الافاق الجديدة، (بيروت: 1983).
الصابوني: ابو حامد جمال الدين

31ـــ كملة اكمال الاكمال في الانساب والاسماء والالقاب، تحقيق مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (بغداد: 1957).
صديق: جوتيار تمر
32- الكرد القيمرية (7-8هـ/13-14م)، تموز للطباعة والنشر، (دمشق: 2016).
الصفدي: الحسن بن ابي محمد عبد الله (ت بعد 607هـ/1209م)
33- الوافي بالوفيات، تحقيق ابو عبد الله جلال السيوطي، دار الكتب العلمية، (بيروت: 2010).
الطائي: فوزي امين يحيى
34- الخدمات الوقفية في العراق وبلاد الشام، المؤسسة الحديثة للكتاب، (العراق: 2013).
ابن طولون: شمس الدين محمد بن علي (ت953هـ/1546م)
35ـــ الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام، المشهور بقضاة دمشق، تحقيق صلاح الدين المنجد، المجمع العلمي العربي، (دمشق: 1956).
العلبي: اكرم حسن
36- خطط دمشق، دراسة تاريخية شاملة على مدى الف عام، ط1، دار الطباع، (دمشق: 1989).
علي: محمد كرد
37- خطط الشام، المجمع العلمي العربي، (دمشق: 1972).
ابو الفداء: عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن ايوب (ت732هـ/1231).
38- تاريخ ابي الفداء المسمى المختصر في اخبار البشر، تحقيق محمود ديوب، دار الكتب العلمية، (بيروت: 2020).
القضاه: سناء احمد فلاح
39ـ المرأة في مصر وبلاد الشام في العصر الايوبي (567ـ648هـ/1171ـ1250م) اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، قسم التاريخ، (الاردن: 2007).
ابن كثير: عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر القريشي (ت 774هـ/1372م)
40- البداية والنهاية، تحقيق خالد شيحا، دار ابن كثير، (دمشق: 2007).
كيال: منير
41- الحمامات الدمشقية، ط2، مطابع ابن خلدون، (دمشق: 1986).
مصطفى: شاكر
42- المدن في الاسلام حتى العصر العثماني، دار السلاسل، (الكويت: 1988).
المقريزي: تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر (ت845هـ/1441م)
43ـــ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار والمعروف بالخطط المقريزية، طبعة جديدة بالاوفست، مكتبة المثنى، (بغداد: 1970).
النعيمي: عبد القادر بن محمد الدمشقي (978هـ/1570م)
44ـ الدارس في تاريخ المدارس، اعد فهارسه ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1990).
النويري: شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت733هـ/1332م)
45ـ نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1992).
ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم (ت697هـ/1298م)
46- مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، تحقيق جمال الدين الشيال، دار الفكر العربي، (القاهرة: 1972) .
ابن الوردي: زين الدين عمر (ت 749هـ/1348م)
47- تاريخ ابن الوردي (المسمى تتمة المختصر في اخبار البشر)، المطبعة الحيدرية، (النجف: 1969).
اليافعي: عبد الله بن اسعد (ت 786هـ/1366م)
48- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتاب الاسلامي، (القاهرة: 1993).
اليونيني: قطب الدين موسى بن محمد بن محمد (ت726هـ/1326م)
49- ذيل مرآة الزمان، ط2، دار الكتاب الاسلامي، (القاهرة: 1992).